

بنية المكان في رواية "مخيم يا وطن" للكاتبة "دعد رشراش الناصر"

*The structure of the place in "the novel Camp oh Homeland" by the
writer "Daad Rashrash Al-Nasser"*

إعداد: أ. حجبية ايت مسعود؛ طالبة باحثة في سلك الدكتوراه، بجامعة ابن طفيل كلية الآداب
والعلوم الانسانية المغرب.

Hajiba ait messaoud: PhD student, Faculty of Letters and Human
Sciences, Ibn Tofail University, Morocco

المخلص:

يعالج هذا البحث بنية المكان في رواية "مخيم يا وطن" للكاتبة "دعد رشراش الناصر"، وقد انطلق البحث في بيان أهمية هذا العنصر الحكائي بصفته من بين أهم العناصر الحكائية في الرواية، وقد أولته الدراسات الأدبية اهتماما فائقا، بوصفه مسرحا تجري فيه الأحداث، وهو الفضاء الذي يصنعه السارد، ويضعه كإطار تجري فيه الأحداث، فهو واحد من العناصر التي لا يمكن تجاوزها أو إهمالها في أية دراسة منهجية تحاول أن تتصف بالشمول، كما تناول البحث مفهوما للأمكنة المغلقة والمفتوحة؛ ودورها في تكوين الشخصية الفلسطينية.

أما بخصوص المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج البنيوي، بآليته الوصفية التحليلية؛ والمنهج البنيوي يسعى دائما إلى دراسة وتحليل النصوص الأدبية والابداعية، انطلاقا من البنية الداخلية للنص، إذ وظفت الساردة جهازا مفاهيميا بنيويا كشفت من خلاله الجوهر الداخلي للرواية، وهذا راجع إلى كون دراسة الأدب الفلسطيني ليست بالأمر الهين، ولاسيما حين ندرك ما فيه من تشعب وثرأ.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: 1- اعتمدت الرواية في بنائها الفني على الوصف لأنه أداة قادرة على رصد الواقع الفلسطيني وتمثيله وفهم ما فيه من قضايا وأحداث بطريقة فنية تعرض أمام المتلقي عالما مليئا بالدلالات والصور، 2- اعتمدت الساردة على وصف المكان في الرواية، لأن السرد كثيرا ما كان يتوقف ليحل محله الوصف من أجل إعطاء كل عنصر من عناصر البنية الحكائية حيزا كبيرا للظهور والبروز. وكثيرا ما نجد وصف المكان في الرواية يشغل مساحات واسعة، من أجل تقريب القارئ من معاناة الشعب الفلسطيني.

توصل البحث إلى عدة توصيات أهمها: 1- ضرورة الاهتمام بدراسة البنية الحكائية من أجل كشف خبايا النصوص الروائية ودلالاتها، 2- ضرورة رد الاعتبار للادب الاسلامي، والبحث في خصوصياته المميزة عن الآداب.

الكلمات المفتاحية: بنية المكان - رواية مخيم يا وطن - دعد رشراش الناصر

Abstract:

This research deals with the structure of the place in the novel "Camp, my homeland" by the writer "Daad Rashrash Al-Nasser". The research started to explain the importance of this narrative element as it is one of the most important narrative elements in the novel.

The method which is used in this study, is the structural method, with its descriptive analytical technique. The structural approach always seeks to study and analyze literary and creative texts, based on the internal structure of the text.

The research reached a set of results, the most important of which are: 1- The novel relied in its artistic construction on the description because it is a tool has capable of monitoring and representing the Palestinian reality and understanding the issues and events in it in an artistic way that presents to the recipient a world full of connotations and images. 2- The narrator relied on the description of the place in the novel, because the narration often stopped to be replaced by the description in order to give each element of the narrative structure a large space for emergence and prominence. We often find the description of the place in the novel occupying large areas, in order to bring the reader closer to the suffering of the Palestinian people.

The research reached several recommendations, the most important of which are: 1- The necessity of paying attention to the study of the narrative structure in order to unravel the mysteries of the narrative texts and their connotations. 2- The necessity of rehabilitating Islamic literature, and researching its distinctive features according to other kinds of literature.

Keywords: structure of the place – the novel of the camp, my homeland
– Daad Rashrash Al-Nasser.

مقدمة:

تعد رواية "مخيم يا وطن" للكاتبة الأردنية "دعد رشراش الناصر" من الأعمال الروائية التي تناولت فيها القضية الفلسطينية، وحاولت تصوير واقع الفلسطينيين في المخيمات، إذ عرضت أحداث هذه الرواية في قالب حكاوي يبرز لنا مدى تشبث الإنسان الفلسطيني بوطنه، بعد أن أُخرج من أرضه بقوة السلاح ليعيش في المخيمات، ولا تتناول الكاتبة المخيم بصفته مسكناً فحسب، بل بصفته مفهوماً ذا أبعاد ودلالات عميقة.

وتعد القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي أنتجت العديد من الكتابات، التي تشي بالكثير من المعاناة، والتي تعترض طريق الأسر المهاجرة إلى خارج البلاد أو داخله؛ وعن عودة الفلسطيني المهاجر إلى أرضه أنتجت الكاتبة "دعد رشراش الناصر" روايتها الموسومة بـ: "مخيم يا وطن" معبرة عن مرارة الهجرة، مستذكّرة مخلفات النكسة من أجل توضيح أهمية عنصر المكان فيها.

مشكلة البحث والتساؤلات:

انطلاقاً من عنوان البحث "بنية المكان" في الرواية السابق ذكرها، تتحدد الإشكالية الأساسية الملحة حول موضوع البحث وفق الآتي:

- إلى أي مدى أسهم الوصف في التعبير عن الأمكنة؟
 - ما علاقة الوصف بالمكان؟ وما هي آلياته عند "دعد رشراش الناصر"، بمعنى كيف تصف المكان في الرواية؟
 - ما الدلالات التي يحملها العنصر السردي (الفضاء) من خلال الوصف؟
- نبذة تعريفية عن رواية مخيم يا وطن:

تعد رواية "مخيم يا وطن" للكاتبة الأردنية "دعد رشراش الناصر" من الأعمال الروائية التي تناولت القضية الفلسطينية، والتي فازت بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية التي أجرتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية للأدبيات، تحكي الرواية طرفاً من معاناة الشعب الفلسطيني في المخيمات وخصوصاً أولئك الذين يعودون إلى الوطن بعد سنوات طويلة من الغربة، فتتازعهم عوامل التمسك

بالوطن والرغبة في العيش الرغيد، وهي رواية أدبية تحمل عبق القدس والشهامة التي يتميز بها أهلها، إذ حاولت الكاتبة تصوير واقع الفلسطينيين في المخيمات.

وتدور أحداثها حول شخصية "مريم العموري" الصيدلانية الشابة التي تبلغ من العمر سبعة وعشرين سنة، خريجة قسم الصيدلة من جامعة كاليفورنيا الأمريكية، كانت تعيش مع أسرتها في أمريكا حياة ترف وهناء، و انتقلت مع أسرتها إلى البلد المحتل، حيث تقاجأت مريم في المخيم بأوضاع جديدة مغايرة لما كانت تعيشه في أمريكا، لتجد الأهل في بيت واحد مغطى بصفائح (الزنك).

وتعد الرواية عملاً سردياً طويلاً، وشكلاً من الأشكال النثرية التي نالت حظاً وافراً من الاهتمام من قبل جمهور عريض من القراء، ولقد عرفها "باختين ميخائيل" بقوله: "إن الرواية هي فن نثري تخيلي طويل - نسبياً - وهو فن بسبب طوله يعكس عالماً من الأحداث والعلاقات الواسعة، والمغامرات المثيرة والغامضة أيضاً، وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة، ذلك لأن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية أو غير أدبية"¹، والرواية حسب تعبير "باختين" يجب أن يتوفر فيها الخيال، لأنها انعكاس للواقع، وهي سلسلة من الأحداث والشخصيات والأمكنة والأزمنة، تكون في قالب حكاوي، وتتجلى أهميتها في إثراء المخزون المعرفي للقارئ، لأنها ليست عرض للأحداث فحسب، بل تحتوي على العديد من الأحداث والتواريخ.

نبذة تعريفية عن الكاتبة:

دعد رشراش الناصر، كاتبة أردنية، من مؤلفاتها: "مخيم يا وطن"، "المنامات في الموروث العربي الحكائي"، وقصص الأطفال "كان حلماً والحمد لله"، "حاوولي أن تقرئي"، و"قصص جزاء الصيادين"، كما كتبت في مجلة الأدب الإسلامي مقالاً بعنوان "الإنسان والقضية في رواية مخيم ياوطن"، ومقال آخر بعنوان "توظيف الموروث الشعبي في المسرح الفلسطيني والأردني" (1998-1967)، كما كتبت في مجموعة من المواضيع من بينها: قضية الشعب الفلسطيني، المخيمات، المشقة، هجرة العودة، الاغتراب، القصة العربية وغيرها.

¹ يوسف أمينة، (1997م)، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر سوريا.

بنية المكان في رواية مخيم يا وطن:

يشكل النص الروائي مساحة شاسعة لتفاعل الأديب مع النص الذي يُنتجه، وعالما واسعا لرصد مكنوناته، الأمر الذي يجعلنا أمام رؤى مفادها أن هناك فرقا بين الخطاب الذي يفصح عنه والخطاب المسكوت عنه في الرواية؛ فالنص الأدبي يرتقي إلى مستوى عال من المعاني التي يعبر عنها الكاتب في صفحاته؛ ويرتقي في لغته التعبيرية إلى مساحة أوسع من اللغة المكشوفة، بذلك يكون متسما بمعانٍ ودلالاتٍ وراء توظيف كل عنصر من عناصر البنية الحكائية.

واختارت الكاتبة البيئة الفلسطينية لتدور فيها أحداث الرواية لإبراز البعد الاجتماعي والاقتصادي للشخصيات، ومنه نلاحظ وجود الأماكن الدالة على الثراء التي تختلف عن الأماكن الموصوفة بالفقر والمستوى الاقتصادي المتدني، وفي كلتا الحالتين يرتبط الوصف بالأبعاد الدالة على المركز الاجتماعي لمن يشغل هذا المكان؛ خصوصا وأن أحداث الرواية تدور في بيئتين مختلفتين (أمريكا والمخيم). لأن المكان يمثل دور المرايا العاكسة لكوا من الشخصية النفسية وصراعاتها الداخلية لتصبح الأوصاف الملاصقة لهذه الأماكن معبرة عن الشخصية.

والملاحظ أن بعض الأمكنة في الرواية بدون هوية لأن اليهود بدّلوا معالمها لاجتثاثها من الذاكرة؛ لأن ما فعله الاحتلال الصهيوني في المكان يعد عاملا أساسيا في تغيير حاله، ومنه تغير نظرة الشخصية إليه.

- مفهوم المكان:

يعد المكان الحيز الجغرافي الذي تجري فيه أحداث الرواية عنصرا مهما في البنية الحكائية، ويوصف في كثير من الأحيان بأنه مسرح الأحداث، وقد لعب دورا واضحا وشغل حيزا بارزا في معظم الروايات، يقول "مصطفى علي حسانين" يشير المكان في الخطاب الروائي إلى مفهوم إجرائي يتشكل من خلال البنية الوصفية المسرودة، التي تنقله إلينا لغة التخيل ليعبر عن أبعاد مصنوعة بواسطة الألفاظ تخدم هذه الأبعاد حركة السرد في كليتها وفي تتابعها وتواليها، ولا تنفصل في الوقت ذاته على المستويات الاشارية والرمزية التي يسعى المحكي إلى تجزيرها باللغة¹.

ولهذا فالمكان "أحد العناصر المكونة لعالم السرد، فبدون البعد المكاني والبعد الزمني لا يمكن أن يكون لدينا قصة أو رواية أو مسرحية، لأن الأفعال والأحداث لا بد لها من مكان وزمان

¹ حسانين محمد، مصطفى علي، (2004م)، استعادة المكان: دراسة في آليات السرد والتأويل. دون طبعة، دار الثقافة، الأردن، ص10.

معينين، وإلا صارت خارجة عن نطاق التصور¹، والمكان بمفرده لا يؤسس الرواية، ولا يصنع عوالمها التخيلية، إلا إذا تفاعل مع بقية العناصر الأخرى، من زمان وشخصيات وأحداث، لأن الرواية لا تكون متكاملة ومنسجمة إلا بتفاعل مكوناتها، وإن سبر أغواره في علاقته مع العناصر الأخرى هو الذي يحدد وظائفه ودلالاته، ويعرفه "يسين النصير" بقوله: "هو القاعدة المادية الأولى التي ينهض عليها النص ويستوعب حدثاً أو شخصية وزمناً، والشاشة المشهدية العاكسة والمجسدة لحركته وفاعليته"²؛ أي بوجود الأحداث يوجد المكان.

لعل حضور المكان في الرواية يسهم في إغنائها، شأنه في ذلك شأن العناصر الأخرى، إذ "يؤثر فيها ويقوي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحوّل حاسمة في الحكمة، وبالتالي في تركيب السرد والمنحنى الدرامي الذي يتخذه"³، وعليه فالمكان عنصر أساسي في تغيير سيرورة الأحداث؛ وما يحدد حضوره القوي هو موضوع النص الروائي. كما يشكل "العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها بعضاً، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق، والمكان يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية وبشكل أعمق"⁴.

وتقديم المكان جزء مهم في الرواية، فهو عند الساردة يلعب دوراً مهماً وكبيراً، لأن موضوع الرواية هو قضية الأرض التي تُلخص مأساة الفلسطينيين، وفي سبيل ذلك تستخدم الوصف سلاحاً مهماً في بناءها الروائي، لذا "لا يختلف المكان في الرواية عن المكان في الواقع، فهو جزء من الكون الذي سخره الله سبحانه للإنسان، لخدمته وإعانته على القيام بواجب الاستخلاف في الأرض.

¹ بنغروز محمد بن عبد العظيم، (2013م)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار كنوز إشبيلية، الرياض. ص 221.

² النصير ياسين، (1986م)، إشكالية المكان في النص الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد. ص 21. ² بجاوي حسن، (1990م)، بنية الشكل الروائي: المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى. الدار البيضاء، ص 32.

² النصير ياسين، (1986م)، إشكالية

³ بجاوي حسن، (1990م)، بنية الشكل الروائي: الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، ص 32.

⁴ النصير ياسين، (1986م)، إشكالية المكان في النص الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد. ص 5.

المكان قسمان: مكان طبيعي (كالبحار والأنهار والأشجار والجبال..)، ومكان متحول (كالشوارع والبنيات والمعامل والمصانع)¹، وللمكان فاعلية التأثير تمتد إلى عمق الشخصية الروائية مما يجعله ذا أبعاد دلالية، وعلاقة الإنسان بالمكان تتحدد وفقا للتجارب المعيشة، فقد تكون إيجابية أو سلبية، "وما يحدد حضور المكان وتأثيره هو القيمة الكلية للنص القصصي، حيث تحدد التقابلات والتعارضات، فالمريح يقابل المزعج، والضيق يقابل الواسع"²، فالإنسان محكوم بسياج المكان سواء كان مغلقا أو مفتوحا، وهو الذي يحدد هوية الشخص كما أنه ليس مجرد خلفية للأحداث بل عنصر حكاوي قائم بذاته يتفاعل مع العناصر الروائية الأخرى المكونة للسرد الروائي"³.

فالمكان هو الإطار الذي تجري فيه الأحداث، وتعيش فيه الشخصيات وتتصارع، كما أنه يقدم وظيفة في الرواية، إذ هو أحيانا مفتاح الشخصية ومسوغ لسماتها وانتماءاتها ومشاعرها، والوصف هو خير وسيلة لتقديمه، فهو يعدّ الأداة الرئيسة لتقديمه في الرواية، لأنه يُدخل القارئ إلى قلب المكان بأجزائه وأشياءه وتفاصيله، وبالوصف تتحد أبعاد المكان الروائي مع كل الأسرار التي تحفّ به، "فالوصف يفتح مكان المتلقي على أمكنة أخرى، ويعمق الحس الجمالي لديه بمكانه، وهو في ديناميته القائمة في تحويل المرئي إلى المقروء، لا يكتفي بالتسجيل والتصوير، وإنما يهبط عميقا إلى باطن المكان لالتقاط اللامرئي"⁴.

والمكان الروائي الذي نتخيله من صنع الروائي يقوم بواسطة كلمات لها دلالاتها وأهدافها، تنتقل القارئ إلى عالم النص، لكي يصورها من تلقاء نفسه، ويقارن بينه وبين المكان الحقيقي دون أن يدرك أن هناك اختلافا بين العالم الحقيقي والخيالي، كما يتيح إمكانية التأويل ليوسع القارئ أفق انتظاره.

تقوم الرواية على ثنائيتين متضادتين، تشكل خطين سرديين يمضيان منذ بداية الرواية (أمريكا والمخيم)، وهما مصدر الأحداث، من خلال الصراع بين الثقافة العربية والغربية، فالعلاقة

¹ بنغزوز محمد بن عبد العظيم، (2013م)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ص 221 .

² . كلوش فتيحة، (2008م)، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، الطبعة الأولى، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت. ص 27.

³ مشعل نداء أحمد، (2015م)، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة. الأردن، ص 46.

⁴ المرجع نفسه، ص 40/39.

بين المخيم وأمريكا علاقة متضادة في معنى الفضاء فهما مختلفان ومتناقضان لا يلتقيان إلا من حيث كونهما مسرحًا للأحداث.

وبما أن المكان هو محطة الصراع، فإنه من البديهي أن يمثل مساحة كبيرة في الرواية، وذلك من أجل استعادة الهوية الوطنية، لذا يتعدى المكان مفهومه من حيث هو "إطار ثابت يحمي الإنسان من الكوارث الطبيعية أو الأعداء فحسب، بل هو فضاء نفسي واجتماعي يتشكل تبعاً لعالم الشخصيات الداخلي والخارجي، ويحدد تبعاً لذلك وعي الفرد وفكره وميوله وطباعه، ومن ثم يكسب المكان حضوراً إنسانياً يتبادل معه التأثير والتأثر، ويخرجه من ثبوته وجموده".¹

وعلى هذا الأساس فإن المكان عنصر مهم في الرواية الفلسطينية، وهذا راجع إلى كون الإنسان الفلسطيني يعاني فقدان أرضه، بسبب التخريب والهدم من قبل الاحتلال الإسرائيلي الذي تسبب في شتت الأسر، فاخترت الهجرة إلى دول أخرى، أو الانتقال إلى المخيمات بصفتها الإقامة الإجبارية لهم، "والمكان الإجباري هو الذي يُفرض على الشخصية المكوث فيه أو الانتقال إليه كالسجن أو الإقامة الإجبارية أو المنفى أو الملجأ"²، وبذلك يرتبط الإنسان الفلسطيني بالمكان ارتباطاً وثيقاً.

وتبرز أهمية المكان للشخصيات في الرواية، والتي نجدها واضحة المعالم في عدد من مقاطعها، مما يدل على مدى تشبث الشخصيات به، ويظهر ذلك واضحاً في تصرفات البطلة التي كانت تعيش في أمريكا، وبعدها انتقلت إلى المخيمات الفلسطينية، وهذه الأخيرة أجمت في نفسها مشاعر الغربة والضيق، لأنها انفصلت عن مسقط رأسها.

وهنا تظهر العلاقة السلبية بين البطلة والمخيمات الفلسطينية، إذ تقارن بين فلسطين وأمريكا التي تصفها بالمكان الخصب والأليف، وتختار للمخيم ألقاباً رديئة تعبر عن مدى تهميشه، والعزوف عنه من خلال ما تتلقاه من معاناة وبؤس وحرمان، وهذا ما انعكس على شخصيتها، ولكن بمجرد تفاعلها مع الأحداث وتوطيد العلاقة بينها وبين الشخصيات الأخرى، تغيرت نظرتها تجاه الأوضاع، لأنها أدركت قيمه الوطن الذي يعاني من الاحتلال، وهذا ما يؤكد العلاقة الاجتماعية بين المكان والشخصية. تقول "أسماء شاهين": "فالمكان الاجتماعي هو الذي يحتوي

¹ عودة زعراب صبحية، (1967-1997م)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني، الطبعة الأولى، 1426هـ 2006م عمان دار مجلاوي، ص 289.

² بنعزوز محمد بن عبد العظيم، (2013م)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار كنوز إشبيلى، الرياض، ص 222.

على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر، كما أنه يحمل جزءاً من أخلاقية ساكنيه وأفكارهم ووعيهم¹، ومهما ابتعدت الشخصية عن موطنها تظل مرتبطة به وبيئته الاجتماعية وعاداته وتقاليده التي تنعكس على سلوكها، وتعبّر عن هويتها وانتمائها الفكري والعقدي، لذا يلعب دوراً مهماً في حياة الشخصية، فكلما ابتعدت عن موطنها الأصلي ازدادت تعلقاً به.

وفي هذا الصدد تندرج مجموعة من الأمكنة في الرواية، وهي بمثابة فضاءات للأحداث (المخيم، البيت، أمريكا البيارات، الشوارع الفلسطينية والأمريكية...).

وتتوزع الأمكنة في الرواية إلى فئتين: فئة الأماكن المغلقة؛ وفئة الأماكن المفتوحة، التي تتمثل في الأماكن الواسعة، والتي تختفي فيها حرية الفلسطيني كالشوارع والأزقة.

وقد ميز "حسن بحراوي" بين أمكنة الانتقال وأمكنة الإقامة بقوله: "أما أماكن الانتقال فتكون مسرحاً لحركة الشخصيات وتقلّباتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي"²، فأماكن الإقامة هي الأماكن المغلقة التي يقيم فيها الناس وتكون في ملكهم وقد تكون اختيارية أو إجبارية، وأماكن الانتقال فهي الأماكن المفتوحة التي يرتادها الناس كالشوارع والأحياء.

1. الأماكن المفتوحة:

من بين الأماكن المفتوحة في الرواية نجد:

1.1. **المخيم**⁽³⁾: حظي المخيم باهتمام الساردة، فقد جعلت منه عتبة مهمة من عتبات الرواية، حيث يشكل جزءاً من عنوانها، ويعد أكثر المفردات حضوراً فيها، وهو وحدة مكانية شديدة الثراء للتعبير عن علاقة الفلسطيني بأرضه: "يشكل المخيم ظاهرة مكانية ارتبطت بوجود الفلسطيني وقضيته، وهو يحمل معاني متناقضة في داخله فهو من ناحية

¹ شاهين أسماء، (2001م)، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، الطبعة الأولى. المؤسسة العربية، عمان، ص 112.

² بحراوي حسن، (1990م)، بنية الشكل الروائي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، ص 4.

⁽³⁾ ومن المخيمات الفلسطينية نجد: الشاطئ، المغازي، النصيرات، جباليا، خان يونس، دير البلح، رفح... وهي مخيمات في قطاع غزة وهي إحدى أكثر المناطق كثافة من حيث عدد السكان، وقد عرف هذا القطاع هجوماً صهيونياً شاملاً مما أدى إلى ارتفاع حجم الدمار والشهداء.

يرمز إلى التعلق بالوطن وفي الوقت نفسه هو عنوان اليأس وخيبة الأمل مليء بالثورة والعنفوان لكنه يحمل معاني الموت والدمار والخراب، يعنى بالقيم الوطنية والأخلاقية، ولكنه أحيانا يشير إلى انعدام القيم¹. وله دور مهم، لا لكونه فضاء روائيا فحسب، بل لأنه الشاهد على مظاهر البؤس والتشرد وما خلفه الاحتلال الصهيوني.

والساردة لم تفصح لقارئها عن اسم المخيم، وعن كثير من الأماكن، ولم تحدد موقعه أيضا. ومن خلال تتابع بعض المقاطع الوصفية لفضاء المخيم وما يحتويه من أماكن فرعية كوصف الدروب الضيقة، والظروف الصعبة التي يعيشها أهل المخيمات، فتصف الساردة إحساس البطلة تجاه المخيم ومعاناتها مع أهلها للوصول إليه، ومن ثم تسلط الضوء على موقفها فتقول "الحياة تسير برتابة وبؤس مقيتين، وكأن الوجود شرع في طقوس جنائية لا يزال لحن الموت السرمدي فيها الصوت الوحيد المعلن الذي تفقهه الأشياء... صفائح (الزنيك) الممتدة على أسقف البيوت المتراسة المهترئة تقوم كل يوم بدور بطولي نبيل وهي تتصدى لأشعة الشمس طاردة النور، ومبعثرة لأي حلم ولید بالضياء"²، فهي تصف حركة الزمان التي تسير ببؤس ورتابة، وتصف حال سكان المخيم، لتوضح قسوة العيش فيه.

وتصف الساردة البيت الذي يسكن فيه الجدان وتقول إنه: "بيت صغير من اللبن يغطي أعلاه بصفائح (زنيكو)، كما بقية البيوت أعطت إيقاعا متجددا للموت المنصهر في كل حبة من حبات المطر النازفة فوق رؤوسهم"³، كما تصف إحساس البطلة بالمكان الذي يبدو مناقضا للمكان الذي اعتادت العيش فيه، تقول "انغرس أقدامهم في الوحل وشربت أجسادهم الغصة أول فجيرة في هذا المكان الغريب"⁴، وهذه الصورة تدل على طبيعة العيش القاسية وكذا انحطاط بنيته التحتية. "المياه القذرة الملوثة احتلت المكان"⁵.

واستعملت الساردة الوصف المفصل "وهو الوصف الذي يقدم صورة كاملة عن الموصوف في جميع جوانبه أو في جانب من جوانبه في الأقل. وما دام هذا الوصف مفصلا،

¹ مشعل نداء أحمد، (2015م)، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، الطبعة الأولى وزارة الثقافة. الأردن، ص 70.

² رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 7.

³ المصدر نفسه، ص 17 .

⁴ المصدر نفسه، ص 17 .

⁵ المصدر نفسه، ص 32.

فهو يتناول تفاصيل الموصوف والأجزاء المكونة له¹، لهدف نقل صورة مستمدة من الواقع المعيش للفلسطينيين، لتوضح أوضاع القهر والذل الذي فرضه هذا المكان، والتي تقضي بقارئها إلى عالم ليس فيه سوى الألم والحزن.

ومما يدل على عدم تقبل مريم لهذا الوضع قولها: "أيها المخيم أنت عالم آخر لا أستطيع الانصهار فيه... لكن أسير في طرقاتك مستدعية حرارة الحياة التي أريد أنا.. ومن أجل أنا.. أما أنت فعليك أن تقف وتستدعي المستقبل الذي تحب"²، وتصور الساردة هذه الحالة من أجل إعطاء صورة واقعية لحالة الفقر والبؤس الذي يعانيه الشعب الفلسطيني، لعدم تقبل مريم لهذا الوضع.

تقول الجدة العجوز: "صورة الوطن ... تتعالى من بين الآهات الذليلة التي يتردد صداها في أرجاء المخيم" مخيم يا وطن "نموت والشمس تطل علينا في أرض الغربية، والوطن يعيش فيه الغريب"³ وهذا يدل على أجواء الحرب ومشاهد القتل والعدوان، وهنا يتخلى المكان عن وظيفته التي هي الاستقرار، ليكتسب مفهوماً آخر هو الصراع الذي نجده في هذه الصورة الوصفية. "تصبوا الخيام وصار اسمنا لاجئين ونازحين ... اسم بلون الخيمة والمؤامرة"⁴، واللون الأسود يشير إلى الحزن، صورة تتناسب مع عمليات القتل والتشرد التي يتعرض لها السكان.

ومهما كانت سمات هذه الأماكن من ضيق وقذارة واكتظاظ وعنف، فإن البطلة لم تتقبل هذا الوضع إلا بعد أن فهمت السبب وراء ذلك التشرد والضياع الذي تعرض له إخوانها الفلسطينيون الذي لا يملكون لذلك إلا الصبر والسلوان والوقوف في وجه الاحتلال.

ومن هذا المنطلق يسهم المكان إسهاماً فعالاً في تحريك وبناء الشخصية الفلسطينية التي ارتبطت به ارتباطاً قوياً. ومنه يمكن القول إن وظيفة المكان في علاقته بالشخصية الفلسطينية يظهر في تمكينه لسير الأحداث وتتابعها، ففي الرواية تقوم الأمكنة على التنوع من مكان لآخر .

¹ بنعزوز محمد بن عبد العظيم، (2013م)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ص 247 .

² رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 17 .

² المصدر نفسه، ص 41.

³ المصدر نفسه، ص 17 .

³ المصدر نفسه، ص 59.

⁴ المصدر نفسه، ص 60.

1.2. **الشارع:** يشكل الشارع جزءا من جغرافية المخيم وهو مكان مفتوح يستقبل كل فئات المجتمع ويمنحهم كامل الحرية في التنقل، "والشارع صحراء المدينة وجزؤها الزمني لامتداد طاقته على مدّ الخيال، ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان، لسعته رؤية ريفية مدنيّة، ولضيقة رؤية المدن الصغيرة للوسطية، ولساكنيه حرية الفعل وإمكانية التنقل، وسعة الاطلاع والتبدّل"¹، وتشير الساردة أن تتنقل الشخصيات في الشوارع مغامرة. وتجسد هذه الصورة رؤية مريم لشوارع المخيمات التي تبرز في تصورهما مكانا متقلا بالهموم فهو بذلك مسرح لأحداث مؤلمة. وخاصة الشوارع التي تجوبها للوصول إلى الصيدلية تقول "الشوارع مثقلة بالهموم"². تصور مريم الشوارع بصورة سلبية لتدل على مشقة التنقل فيه، حيث تفقد الشوارع وظيفتها الحركية وتدل على التوتر والخوف من الصهيوني، لفقدان الأمن والعيش الطبيعي.

وتتبع الساردة حركة أسرة العموري وهي عائدة إلى المخيم و إحساسها بظلامية المكان وضبابيته التي تعادل ظلامية الواقع المعيش؛ الذي تكون فيه السيادة للأقوى. كما نجد صورة أخرى للشوارع وهي صورة الخراب والدمار الذي شهدته المخيمات مما خلف الهلع والخوف في نفسية مريم تقول: "سارت السيارة ببطء تحفظا من الانزلاقات والحوادث رويدا رويدا تبتعد عن المباني السامقة الفارحة وتدخل في أحياء مختلفة متباينة تماما حتى كأنها من بلدين مختلفين متضادين.. الشوارع تضيق"³، وأمطار الشتاء التي تهطل على القرية، تجلب الموت والهلاك، حيث يتحول المطر في المخيم إلى عامل سلبي يؤثر في الشخصيات ويفضي إلى هلاكها، ومن ثم يصبح أكثر ارتباطا بالموت منها بالحياة؛ لتبين الساردة حجم التفاوت الحضاري بين المخيم وأمريكا.

1.3. **البيارات⁽⁴⁾:** وهي البساتين أو الحقول، وتسمى البيارات بلغة الفلسطينيين، وقد استعملتها الساردة لتوضح أن الأرض الفلسطينية أرض خصبة، تقول "بيارات البرتقال في المدن العريقة التي ترتمي على الشاطئ أسطورة من الحسن والجمال"⁵، تقول مريم "كنا

¹ النصير ياسين، (1980م)، الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي الجزء 1 الموسوعة الصغيرة دار الشؤون الثقافية، بغداد. ص 115.

² الرواية ص 73 .

³ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 16.

⁴ البيرة في لغة أهل فلسطين: البستان أو الحقل المزروع بالبرتقال أو الليمون.

⁵ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 17 .

⁵ المصدر نفسه، ص 8.

نقعد في ظلها، وما نفكر في شيء من الدنيا"¹. و فيها تقضي مريم بمعية أصدقائها أوقات الراحة، فهي بمثابة مكان ينسون فيه همومهم وأحزانهم، وفي هذا الصدد يقول "ياسر": "عندما كنت صغيرا كنت أرسم البيارات ضحكات الأطفال، وعلى الرغم من وجود الاحتلال إلا أننا كنا ننعم بظل الوطن ريشتي كانت لفلسطين للقدس للبحر...أرفض غير الوطن وغير القدس غير تراب الوطن وشجر الوطن وهواء الوطن فأرواحنا كلها معلقة بالوطن كان الفرح في البيارات ومواسم الزيتون، كانت مواسمنا أعراسا فصارت أعراسنا أحزاننا من يوم النكسة"².

1.4. **أمريكا:** إن وجود أمريكا في الرواية يدل على أن جزءا من أحداث الرواية وقعت فيها، خاصة مريم التي لم تفتح عينها يوما على المخيمات، تقول: "لا أخفيك يا ياسر .. إن أمريكا .. يحيا المرء فيها بأجواء ساحرة رائعة وكأنه يعيش في كوكب آخر.. لكن شيئا ما يختلف هنا... ظلمت أحاول تلمسه"³، وتم توظيفه أيضا في استذكار مريم للأحداث، تقول: "كانت أمريكا بأجوائها الساحرة وطنا حانيا بسط ظله الرهيف في عوالم تلك الشابة مريم العموري... أمريكا وطن الطفولة الغصة البريئة وطن الانطلاقة الأولى وطن الحياة التي ترسم الكون كله أطيافا من قوس قزح"⁴. تشكل أمريكا مسقط رأسها، حيث زرع في عوالمها روح الانطلاقة لحياة ممتعة بصفاتها وطن الطفولة.

1.5. **ولاية متشجن⁽⁵⁾:** يتجلى وصف هذا المكان في استرجاع مريم لذكريات الماضي، حينما كانت تجلس بمفردها أمام الصيدلية "أحالتها المنظر إلى الحديقة العامة ولاية متشجن... جلست على العشب مادة رجليها الصغيرتين"⁶، كانت مريم تقضي فيها وقت اللعب والمرح مع أصدقائها الأمريكيان، عندما كانت صغيرة فتقارن بين فضاء اللعب في أمريكا والمخيم .

¹ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 58.

² المصدر نفسه، ص 70.

³ المصدر نفسه، ص 92.

⁴ المصدر نفسه، ص 9.

⁽⁵⁾ ولاية متشجن: ولاية تقع في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية، تحيط بالولاية أربع بحيرات، وهي ميشيغان، وهورون، وإيري، وتعد الولاية ذات أطول حدود مائية، وتمتلك أكبر أساطيل الولايات الأمريكية. وهي ولاية انضمت إلى الاتحاد سنة 1837.

⁶ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 92.

وقدمت الساردة هذا المكان من خلال التذكر، من أجل التعبير عن رغبة مريم في العودة إلى مسقط رأسها. وما من شك في أن هذه الفقرة تعكس رغبة الشخصية في التطلع إلى حياة أفضل تجسد من خلالها آمالها في تحسين واقعها المعيش.

1.6. **البحر:** البحر رمز طبيعي للحياة تعاملت معه الساردة بصورة مختلفة لما ألفناه وجعلته معبرا وشاهدا على ما عاناه سكان المخيم. و يعد البحر أكثر الأماكن مهابة وجمالا، وهو مكان غير متناه ومصدر رزق وحياة، يتميز بمعان ودلالات كما يكتسي أهمية خاصة يؤكد بها حضوره في الرواية، ويشكل مصدرا من مصادر التذكر لشخصية الجدة التي عانت الكثير من قبل اليهود الذين رموهم في البحر وعذبوهم، تقول الجدة: "وصلنا للبحر.. وهناك رمونا فيه.. يومها رأينا أرض الغربة.. و الله لو فرشوها لنا ذهب ما كانت حلوة في عيوننا الغربة مرة مرة يا مريم"¹، من الواضح أن البحر في المقطع السابق يجسد مشاعر الحزن و الأسى، وتثير هذه الرؤية للمكان الإحساس بالضيق والغربة، ومن ثم ضياع الحياة وهاجس الخوف الذي يحمله حوار الجدة مع حفيدتها مريم . وتبين الساردة تأزم العلاقة بين البحر والجدة، ذلك أن البحر لم يعد مستقلا بخصائصه الجمالية، وإنما أصبح جزءا من معاناة سكان الأرض المحتلة.

البحر يوقظ ذاكرة الجدة، فتسترجع ماضيها الأليم، مما يوجب مشاعر الحزن والمرارة، لتعدد صور العذاب والموت فيه.

وهكذا يوحي البحر بدلالات و معان سلبية لارتباطه بالحزن والوحشة والاعتداء والموت وجبروت الاحتلال، وهو المآل الذي أنهى حياة العديد من الفلسطينيين. و من ثم فالبحر أهم الأمكنة الواردة في الرواية لحمولته الدلالية المذكورة.

1.7. **المطار:** مكان يرتبط بوجود علاقات اجتماعية، إذ ولدت أجواؤه في نفسية مريم مشاعر الحزن والاعتراب، " اتخذت فيه آخر الإجراءات لمغادرة أمريكا إلى مسقط الرأس.. وساروا بصمت جنائزي في القاعة الداخلية للمطار ازدحم الناس لاستقبال القادمين لأول مرة لم يكن يستقبلهم أحد"². لم يكن بحوزتهم شيء سوى الألم والقهر والرغبة الملحة في فهم وضعهم، وقد كان وصولهم يوحي منذ الوهلة الأولى ببداية المعاناة.

¹ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص، ص 17 .

¹ المصدر نفسه، ص 60.

² المصدر نفسه، ص 17 .

² المصدر نفسه، ص 15.

1.8. **شجرة السنديانة⁽¹⁾**: يرتبط هذا المكان بلحظات الفرح والمرح للأطفال، إذ كانوا يقضون فيه أوقات اللعب وحفظ الأناشيد" كل الأولاد يتحدثون عن شجرة السنديانة وأغاني الشجرة²، ويعبر هذا الارتباط عن وشائج الحب والانسجام بينهم. وهذا المكان مألوف ومحبوب لدى الأطفال، وخاصة مريم التي تقضي فيه وقتاً ممتعا مع زملائها، مما يكشف عن جوهر العلاقة الاجتماعية والمحبة بينهم، إذ كان الأطفال يجتمعون تحت هذه الشجرة الضخمة، " شجرة السنديانة التي بسط ظلها وأفرا ظليلاً تتأمل منظر الشمس" ³ " كل الأولاد يتحدثون عن السنديانة وأغاني الشجرة"⁴ . والشجرة بمثابة مكان للترويح عن النفس واللعب، تقول مريم " أوراق السنديانة تتمايل متاعمة والنسيم البارد يظل غناءها المكثف من السعي الشاق وراء كل معنى للحياة"⁵.

1.9. **القدس**: مركز الديانات السماوية الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية، وهي مكان واقعي مشحون بدلالات دينية، وتشكل محور الصراع منذ الأزل إلى يومنا هذا، تقول الجدة: "والله يا فلسطين ما هنت في عيوننا.. والله يا قدس ما نسينا وما ارتحنا من بعد الصلاة في حرمك"⁶، فهي مكان للعبادة وبيتنا وبيت ما له بيت"⁷. تكرار القدس في الرواية يدل على مدى تشبث الفلسطينيين بهذا المكان المقدس، إذ لعب دوراً مهماً في تشكيل الحضارات الإنسانية، فالقدس أرض مباركة ومهد الديانات، ومع هذه المكانة الدينية عظمت القدس في نفوس المسلمين، وعاشت في قلوبهم، فالقدس هي الأرض والوطن وحضورها دائم في الأجناس الأدبية (نثر أو شعراً)، والحديث عن القدس من خلال النسيج السردي ليس بالأمر السهل، أو الهين لما لهذه المدينة المقدسة من خصوصية في الوصف لما تحمل من مخزون ثقافي وديني وحضاري. وشاء القدر أن يجعل من القدس قبلة المسلمين، ومحط أنظارهم، فكان التكريم الإلهي عندما جعلها منطلقاً لنيه الكريم في معارجه إلى السماء، لقوله تعالى "سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى

(1) السنديان أو البلوط جنس نباتي من الفصيلة الزانية، يضم أنواعاً كثيرة من السنديان والبلوط بعضها شجري وكثير من الأشجار الضخمة، وهي واحدة من أكبر أشجار البلوط.

² رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 17 .

³ المصدر نفسه، ص 90.

⁴ المصدر نفسه، ص 81.

⁵ المصدر نفسه، ص 90.

⁶ المصدر نفسه، ص 100.

⁷ المصدر نفسه، ص 59.

⁸ المصدر نفسه، ص 59.

بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ¹.

2. الأماكن المغلقة:

المكان المغلق هو المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يأوي
إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته، أو بإرادة الآخرين لذا فهو "المكان
المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية الذي قد يكشف عن الألفة والأمان، أو قد يكون مصدرا
للخوف والذعر"². و تتميز هذه الأماكن بميزات قد تكون إيجابية كالألفة والأمان، كما قد تكون
ميزات سلبية مثل الخوف والوحدة. ويمكن أن تكون الأماكن المغلقة مفتوحة بفعل الفاعل.

2.1. البيت: إذا كان المخيم هو الفضاء العام الذي تجري فيه أحداث الرواية، فإن
البيت هو الحيز المكاني الأول، فهو المسكن أو الملجأ الذي يقصده كل فرد في آخر
يومه طلبا للراحة والاستقرار، يسهم في تكوين الشخصية وتشكيلها، ويتسم البيت في
صورته المباشرة بقدرته على إحالتنا إلى حالة الألفة والحميمية التي تتشكل بواسطة فعل
الإقامة والاستقرار داخله. فالبيت ليس كيانا فإنك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان،
فالبيوت تعتبر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم
أن يعيشوا فيها³. ويشكل البيت كذلك "واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات
وأحلام الإنسانية... وفي حياة الإنسان ينحّي البيت عوامل المفاجأة، ويخلق استمرارية،
ولهذا بدون البيت يصبح الإنسان كائنًا مفتتا"⁴. وقد حظي البيت بقدر كبير من اهتمام
الساردة لأنها صورت جميع حيثياته، وأغلب الأحداث والحوارات تدور داخله، وقد مر
وصفه بمراحل متدرجة من الخيام إلى البيوت الطينية فالإسمنتية، وكل هذا يشكل نظرة
الشعب الفلسطيني لتاريخه وواقعه وعلاقته بقضيته.

¹ سورة الاسراء، الآية 1.

² فهد حسين، (2003م) المكان في الرواية البحرينية، الطبعة الأولى، فراديس البحرين، فراديس للنشر والتوزيع،
ص 163 .

³ مشعل نداء أحمد، (2015م)، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة.
الأردن، ص 173.

⁴ باشلار غاستون، (1984م)، جماليات المكان، الطبعة الثانية، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية.
بيروت، ص 38.

ففي الرواية المدروسة تقف الساردة وقفة مطولة أمام وصف بيوت المخيم الطينية الواطئة التي تتكدس فيها الأسر الفلسطينية، فيوحي بدلالات الفقر والبؤس والاكتظاظ، وهي دلالات أثرت على الشخصيات. وفي وصفه كذلك عند وصول أسرة العموري من أمريكا. تقول: "وحين وصولهم إلى بيت الأهل انغلق الباب كان صريه موحشا مخيفا... وقد نفتت العائلة فوق مدفئة قديمة انبعث منها رائحة الكاز فشكلت سحباً ضبابية كريهة في الغرفة الصغيرة التي ارتمت على أرضها قطع من أواني الألمنيوم صغيرة اضطلعت بمهمة التقاط الماء المنحدر من الشقوق في صفائح (الزنيك) التي سققت البيت ... رأت مريم المكان بعينين غائرتين ... الغرفة لا تعدو أمثارا ساذجة قليلة"¹.

يرتبط البيت في المثال السابق بمعاني الظلام والعزلة و صعوبة الطريق المؤدي إليه، ووعورتها تنبئ عن رداءة المكان ووحشته، تقول الساردة في وصفها "البيوت تلوح صغيرة مهترئة متراسة كألعاب طفل مهشمة قديمة.. تلك البيوت التي بدت مهجورة قدرة"².

لم تقدّم الساردة البيت إطاراً للحدث، بالقدر الذي انصب تركيزها على شخصية مريم التي لم تستطع الانسجام فيه، مما يوحي لها بمشاعر الحزن والأسى ويزيد من آلامها، ويكشف هذا الوصف عن حياة البؤس والفقر الذي تعيشه هذه الأسرة، التي تفتقد لأدنى شروط العيش الكريم. وتنقل صورة البيت بطريقة أخرى، وتقول: "قطرات الماء تصطك بالأواني النحاسية المترامية هنا وهناك تعطي إيقاعاً متجدداً باللحن الجنائزي يظل يستطرد ويعلو إزاء الصمت المخيم المطبق والشفاه المتبيسة التي لم تنبس عن بنت الشفة... اللهم إلا ذلك السعال الجاف المتردد من قحف الأعماق"³. وهذا يجسد معاني البؤس، فالبيت لا يقي صاحبه برودة الشتاء ولا يمنع عنه غزارة الأمطار، وتظل أشياءه ومكوناته معبرة عن المستوى المعيشي لساكنيه.

ولتوضيح حالة أخرى للبيوت، تقول: "البيوت تهدمت والناس قتلت والأراضي صودرت"⁴ تبين الساردة حالة "البراريك" من أجل إيهام القارئ بالحقيقة الأليمة، و البيت في نظر الساردة ليس حاضناً للأحداث والشخصيات فحسب؛ بل هو مكون من المكونات المهمة في الرواية فيحقق وظيفته في فرض شروطه الصارمة لإبراز تفاصيله كالضيق والروائح الكريهة والبرودة.

¹ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 17 .

² المصدر نفسه، ص 16.

³ المصدر نفسه، ص 25.

⁴ المصدر نفسه، ص 58.

2.2. **الصيدلية:** تعد الصيدلية المكان الذي تقضي فيه مريم معظم أوقاتها من أجل العمل، تقول الساردة في وصفها "أخذت الوصفة بعد أن تنحت عن المقعد المصنوع من القش في هذه الصيدلية القمئية.. لعلها يا مريم تغير شيئاً من الملل الذي تحسّن به"¹ تضعنا هذه الصورة أمام وصف المكان وما يثيره من الغبار والأوساخ، ومن الضروري أن يزدحم بالدلالات التي تشير إلى صعوبة العيش، " فعندما يصف لنا بلزك أثاث قاعة ما، فهو يصف تاريخ الأسرة التي تشغله، وإذا كانت المقاعد موزعة فذلك يدل على أن الأسرة قد ساءت أحوالها، ولا ينطبق ذلك على الأسرة وحدها، بل على البيئة بأجمعها لأن هذا الأثاث القديم لا بد له أن يكون قد انتقل من شخص إلى آخر"².

ما يمكن قوله بعد دراسة هذه الأمكنة (البحر، الشوارع، البيارات، الصيدلية..) أن الساردة توهم القارئ بحقيقة الأحداث، ويظهر ذلك جلياً في تصوير المخيم، فهو فضاء رهيب يثير الخوف، ويكمن جوهر المأساة في شعور ساكنيه بالاغتراب والحيرة والارتباك.

وعنصر الخلل في الفضاء الروائي: أنه خلل تفرغ فيه الفضاءات الفلسطينية من أسمائها، كما أفرغت فيه الشخصيات من أسمائها واكتفت بألقابها وكنائها، وعلى عكس كل ذلك يشدد غياب أسماء الفضاءات على خلل في توزيع جغرافي يدل فيه العام على الخاص ويستغني عن هذا الأخير لعدم جدواه ودلالته"³، ربما لم تستعمل أسماء بعض الفضاءات لأنها فقدت هويتها في ظل الاحتلال.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول إن المكان الذي اختارته الساردة لتدور فيه أحداث الرواية أسهم بشكل كبير في تكوين البعد الاجتماعي والاقتصادي للشخصية، فالأماكن الدالة على الثراء والأبهة تختلف عن الأماكن الموصوفة بالفقر والمستوى الاقتصادي المتدني، وفي كلتا الحالتين يرتبط الوصف بالأبعاد الدالة على التراتب الطبقي بين الشخصيات.

يختلف توظيف عنصر المكان في الرواية الفلسطينية عن غيرها، فهو يتجاوز كونه مكملاً لعناصر السرد الروائي إلى كونه يحمل الكثير من الرموز والدلالات، فقد حاولت الساردة تجسيد

¹ رشراش الناصر دعد، (2010م) رواية، مخيم يا وطن، الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض، ص 29.

² عودة زعرب صبحية، (1967-1997)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني، الطبعة الأولى، 1426هـ 2006م، عمان دار مجلاوي، ص 313.

³ المرجع نفسه، ص 302.

صورة للمجتمع الإسلامي من خلال توظيف الأماكن المقدسة (كالقدس) وما تعكسه من حمولة رمزية ودينية، قصد جعل القارئ بين فسحة دينية وفنية، فقد وظفت الساردة القدس بصفاتها الفضاء الديني الذي تقام فيه الشعائر الدينية وقد نجحت الساردة في جعل البيئة الإسلامية عنصراً فاعلاً مؤثراً في العناصر الروائية الأخرى، حيث أظهرت قدرة الشخصية الإسلامية على إقامة مجتمع إسلامي قائم على التواصل والاتحاد من أجل استرجاع الأرض المحتلة.

وقد اعتمدت الكاتبة في بنائها الفني للرواية على وصف الأماكن من أجل تقريب القارئ من معاناة الشعب الفلسطيني، لأن الوصف أداة قادرة على رصد الواقع الفلسطيني وتمثيله وفهم ما فيه من قضايا وأحداث بطريقة فنية تعرض أمام المتلقي عالماً مليئاً بالدلالات والصور من معين المجتمع، والذي عبرت عنه الكاتبة بالدقة والموضوعية التي تتطلب منها سرد ووصف الأحداث كما وقعت في إطارها الزماني والمكاني وتقديمها من قبل الشخصيات، من أجل توضيح أن عنصر الوصف من الوسائل الناجعة للكشف عن خبايا المجتمع الفلسطيني وتقريبه من ذهن القارئ.

كما لجأت الساردة في وصف الأماكن المغلقة والمفتوحة إلى ثنائية (المخيم / وأمريكا) ليتمكن القارئ فهم معاناة الفلسطينيين في مخيماتهم وملاجئهم والاحتلال الذي عانوا منه، منتقلة من مكان لآخر من أجل تشكيل لوحة وصفية مكتملة لنقل الواقع المعيش، وهذا الأمر نفسه انطبق على البيئة الأمريكية الذي طافت في أجوائها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. بحراوي حسن، (1990م)، بنية الشكل الروائي، الطبعة الأولى المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
3. بنعزوز محمد بن عبد العظيم، (2013م)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار كنوز إشبيلية، الرياض.
4. حسانين محمد، مصطفى علي، (2004م)، استعادة المكان: دراسة في آليات السرد والتأويل. دون طبعة)، دار الثقافة، الأردن.
5. رشراش الناصر دعد، (2010م)، رواية، مخيم يا وطن. الطبعة الأولى، العبيكان. الرياض.

6. شاهين أسماء، (2001م)، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، الطبعة الأولى. المؤسسة العربية، عمان.
7. عودة زعر صبحية، (1967-1997م)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني، الطبعة الأولى، 1426هـ 2006م عمان دار مجلاوي .
8. غاستون باشلار، (1984م)، جماليات المكان، الطبعة الثانية، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية. بيروت.
9. فهد حسين، (2003م) المكان في الرواية البحرينية، الطبعة الأولى، فراديس البحرين، فراديس للنشر والتوزيع.
10. كلوش فتيحة، (2008م)، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، الطبعة الأولى، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.
11. مشعل نداء أحمد، (2015م)، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، الطبعة الأولى وزارة الثقافة. الأردن.
12. النصير ياسين، (1980م)، الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي الجزء الأول الموسوعة الصغيرة دار الشؤون الثقافية، بغداد.
13. النصير ياسين، (1986م)، إشكالية المكان في النص الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد.
14. يوسف أمينة، (1997م)، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر سوريا.